اللبناني ينتظر رجلاً ليس كالرجال!

ما عرف تاريخ البشرية اناساً أعظم جرأة واقوى نشاطاً وأكثر حيوية وابعد تأثيراً من المغترب اللبناني. وقد دعاه البعض في الآونة الأخيرة اما إلى العودة إلى الوطن واما إلى استعادة جنسيته واما إلى توظيف أمواله..

ما دفع المغترب إلى هجر البلاد سوى ضيق العيش وحرمان الحرية وفساد حكّام فيها. اتمثله على ظهر سفينة ماخرة به غباب أليم وعيناه عالقتان بقمم بلاده يناجيها بقولها:

ايتها البلاد الحبيبة التي اغادرها مرغماً، ان سهولك واسعة ولكن أين امتدادها من الشهرة التي سأبنيها لك، جبالك عالية شامخة، ولكن، أين علوها من قبب المجد التي ساشيدك لك، يا بلادي ان تاريخك عظيم وساكتب فيه صفحة لامعة تفخرين بها وتفاخرين، وسيتلوها ابناؤك المقيمون بفخر واعجاب. وحجب الأفق عن عينيه قمم البلاد، وسارت السفينة تتهادى ولا يرى مَنْ عليها غير السماء، والماء، حتى اطل على العالم الجديد حديث وجد صاحبنا نفسه في بلاد يجهل عنها كل شيء حتى لغة أبنائها، فلم يضعف ايمانه بنفسه، ولم يداخله قنوط أو يأس، بل حمل في صندوق صغير ابراً ودبابيس وما شاكلها من البضائع الصغيرة الحجم الخفيفة الوزن والثمن وأخذ يجوب مجاهل تلك البلاد مخاطباً سكانها كما يخاطبك الاصم الابكم مكتشفاً فيها قرى وقبائل لا علم لحكوماتها بوجودها.

المغتربون من الجيل الأوّل تحت كل سماء دونهم غير مشكلة حياتية فكرية ووجدانية. وليست زيادة هذا المسؤول أو ذاك لـ «تفقّد» المغتربين في معظمَ الأحيان عندنا سوى استعراض رخيص أو اكتساب دعم سياسي ما.

القائد النزيه الحكيم الغيور على مصلحة مواطنيه، والهادف إلى تحقيق آماله وبلسمة جراحه، ويختلط بهم في عقر دارهم، ويصغي إليهم بوعي واهتمام، ليطّلع على ما يطلبونه، وليدرس ما يبسَط امامه من مقترحات ضرورية بناءة. فمن تراه ينهج هذا النهج السويّ، ويجتمع بجماهير شعبه وخصوصاً في ايامنا هذه، ويرهف السمع إلى شكاياته ومتطلباته، ليعمل بعد ذلك، لوضع الحق في نصابه، ولا نصاف النّاس، مما قد يكون لحق بهم، أو ببعضهم من حيف وارهاق بعيداً عن كل طائفية أو وراثية أو زبائنية بغيضة؟

أين هو هذا القائد المنشود؟

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه